معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس أصول السُّنَّة

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

الدرس رقم (4)

التاريخ: الاثنين 03/ربيع الثاني/1440 هـ

10/ديسمبر/2018 م

الدرس الرابع من شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذا هو المجلس الرابع من مجالس شرح أصول السنة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:**(وتركُ الخصوماتِ والجلوسِ مع أصحابِ الأهواءِ، وتركُ المراءِ والجدلِ والخصوماتِ في الدين)**.

هذا هو الأصل الثالث وهو في تحريم الخصومات والمناظرات في الدين سواء أكان ذلك مع مبتدع أو مع سنّيّ،

الخصومات محرّمة مطلقاً؛ لأن مفاسد الخصومات والمناظرات وخيمة فإنها تؤدي إلى الشكّ في الدين وقد تؤدي إلى الكفر والعياذ بالله ولا فائدة منها أبداً.

وهذا الأصل أصلٌ منهجيٌّ، فإنه يبيّن لك كيفية التعامل مع أهل البدع؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبين لك كيفية الجدال مع أخيك السني، فسوف تعرف يا طالب العلم بعد دراسة هذا الأصل عدة أمور:

- ستعرف هل تجوز مناظرة أهل البدع؟
- وهل تجوز مجالستهم؟
- وهل يجوز السماع لهم وأخذ العلم عنهم؟
- هل تجوز مصاحبتهم وموادّتهم؟
- وستعرف أيضاً هل تجوز مناظرة السني بحجة إظهار الحق ونُصرته؟
- وما هو الفرق بين المناظرة والجدال بالتي هي أحسن؟

هذه الأسئلة كلها ستعرف جوابها إن شاء الله تعالى بعد دراسة هذا الأصل الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة، فهذا أصل منهجي عظيم، هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، فلا يجوز لطالب العلم أن يجهله، لأن طالب العلم سيتصدى للدعوة إلى دين الله، فإذا جَهِلَ هذا الأصل فإنّه سيصدّ عن الدين وهو لا يشعر.

وهذا الأصل يتألف من شِقّين:

1- الشق الأول: تحريم الخصومات في الدين مع أهل البدع وتحريم مجالستهم والسماع لهم مطلقاً.

2- الشق الثاني: تحريم الخصومات في الدين مع السني ولو كان ذلك بحجة دعوته إلى الحق.

أما الشق الأول وهو تحريم الخصومات في الدين مع المبتدع وتحريم مجالسته والسماع له هو قول المؤلف:**(وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء):**

أصحاب الأهواء هم أهل البدع، وسماهم أهلُ السنة أصحابَ الأهواء تحذيراً من طريقتهم لأنهم يتّبعون الهوى،

والهوى هو ***"ميل النفس إلى ما تحب"*** ،

وأصحاب الأهواء يميلون مع أهوائهم حيث مالت، فيميلون إلى ما تحبه نفوسهم في تقرير العقيدة والمنهج لا إلى ما يحبه الله ورسوله، يميلون إلى "الهوى" ويسمونه "العقل" فهم في الحقيقة عابدون لأهوائهم، المبتدع اتخذ إلهه هواه، والنصوص كثيرة جداً في الكتاب والسنة في ذم الهوى.

أما الخصومات فالمقصود بها هنا **"الخصومات في الدين"** وليس المقصود الخصومات في الدنيا،

والخصومات في الدين هي التي نسميها اليوم المناظرات، الخصومات هي المناظرات،

الخصومات في الدين: هي ***(الجدل على وجه المغالبة)***، هذا تعريفها، فهذه محرّمة مطلقاً سواء كانت مع مبتدع أو مع سني،

أما إذا كان الجدال على وجه المناصحة مع سني، فيجوز ذلك وسنبين هذا النوع الجائز في الشق الثاني إن شاء الله تعالى.

نقف الآن عند **الخصومات في الدين** وهي: **(الجدل للمغالبة والمغاضبة)**،

يعني أن كل طرف همّه أن يخصم صاحبه لذلك سميت خصومات،

يخصمه: أي ينازعُه ليَغلبَه ويُفْحِمَه، كل طرف همّه أن يهزم نظيره، لذلك سميت مناظرات،

فالخصومات والمناظرات شيء واحد، وهي محرمة إذا كانت في الدين، أي أنّ مجادلة أهل البدع

ومناظرتَهم محرمة ولو كان قصدُك إظهارَ السنة والدفاعَ عنها، لماذا؟

لأن هذا المبتدع الذي يجادلك لا يجادلك بحثاً عن الحق إنما يجادلك ليجرك إلى بدعته،

هذه حقيقة يجب أن نعلمها جيداً،

المبتدع لا يجادلك لإظهار الحق إنما يجادلك ليجرك إلى بدعته، فإذا جادلته مكّنته من نفسك، فيضلّك، يجرك إلى بدعته، فتصير مثله والعياذ بالله،

ولذلك فلا خير في مجادلة مبتدع، وفي أحسن الأحوال أنك تبقى على ما أنت عليه ويبقى هو على وما هو عليه، فلا تتوقع منه أن يرجع عن بدعته، هذا بعيد جداً،

فما الفائدة في جداله إذاً؟ لا فائدة ترجى من مجادلة مبتدعٍ أبداً، لأنه زائغ القلب، ويُخشى عليك أن تنغمس في بدعته، يخشى عليك إذا جادلته وناظرته أن تنغمس في بدعته، لأن الشُّبَه خطّافة والقلوب ضعيفة كما قال أهل العلم،

وانظر إلى حال السلف الصالح في هذه المسألة:

قال أبو قلابة الجرمي وهو تابعي كبير أدرك سبعين من الصحابة وسمع منهم، قال رحمه الله:

[لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون]

انظر! هذا هو خطر مناظرة المبتدع:

- إما أن تخرج من السنة وتصير مبتدعاً مثله،
- وإما أن تشكّ في السنة،

وهذه مصيبة عظيمة، هذه مصيبة في الدين، فحافظ على دينك وحافظ على قلبك من الشبهات، وسلامة دينك لا يعدلها شيء، كما كان يقول السلف: السلامة في الدين لا يعدلها شيء، أنت تريد هداية هذا المبتدع وتريد الثواب من الله على ذلك ولكنك بالمقابل تخاطر بدينك، قد تخسر دينك، ودينك هو رأس مالك، وهل مِن تاجرٍ عاقلٍ يدخل في تجارة يُحتمل أن يخسر فيها كل ما يملك؟!، لا عاقل يفعل ذلك، ولو فعل فخسارة المال يمكن أن تعوّض ولكن خسارة الدين لا تعوّض، فلا يجوز لك أن تخاطر بدينك بحجة أن تنقذ مبتدعاً من بدعته لأنك ستعرض قلبك لسهام الشبهات،

والرسول ﷺ قال: [فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه][1]فدل هذا الحديث على وجوب الابتعاد عن الشبهات خصوصاً إذا كانت في العقيدة والمنهج، فلا يجوز لك أن تخاطر بدينك سيّما إذا كنت مبتدئاً في طلب العلم أو كنت متوسطاً فيه، فإن كثيراً من المبتدئين في الطلب أو المتوسطين في الطلب عندهم ثقة زائدة بأنفسهم، تجد الواحد منهم يحسن الظن بنفسه ويزكي نفسه بنفسه، لم يزكّه أهل العلم، إنما هو يزكّي نفسه ويزعم أنه يريد أن ينصح هؤلاء المبتدعة فيخالطهم ويجالسهم ويجادلهم أو ينظر في كتبهم أو يدخل إلى مواقعهم في الإنترنت، وهذا في الحقيقة من ضعف العقل، لا يفعل ذلك إلا ضعيف عقل، فإنه إذا فعل ذلك سيجد عندهم شبهاتٍ أكبرَ منه، لن يستطيع ردّها، فلا يلبث أن يصير منهم ومثلهم، يقول بقولهم ويعتقد معتقدهم فيضل بعد الهدى والعياذ بالله، وهذه مفسدة عظيمة جداً، وقد سمعنا من مثل هذا الشيء الكثير، الكثير من الناس قد ضلوا وزلوا بسبب سماعهم لأهل البدع ودخولهم على مواقع أهل البدع، وحدث هذا قديماً وحديثاً.

وبعض الإخوة يظن نفسه على علم، يحسن الظن في نفسه فيقول أنا قادر على التمييز بين الحق والباطل، هذه كلمة تُسمَع كثيراً من باب الاعتداد بالنفس ومن باب إحسان الظن بالنفس، يقول: أنا قادر على التمييز بين الحق والباطل، فيذهب ليتعلم عند مبتدع أو يدخل على مواقعهم ويقرأ كلامهم ويسمع شبهاتهم، فنقول له: لو كنت قادرا على التمييز بين الحق والباطل فأنت عالم، والعالم لا حاجة له أن يتعلم لا عند مبتدع ولا عند سني، العالم يعلِّم، نعم يطلب العلم ولكن حقُّه أن يعلم، فإن اعترفت أنك لست عالماً فأنت جاهل فلا يحل لك إذاً أن تتعلم عند مبتدع لأن الجاهل لا يقدر أن يميّز بين الحق والباطل، فأنت على خطر عظيم، وليس عيباً على الإنسان أن يكون جاهلاً، ولكن العيب كل العيب أن يجهل أنه جاهل وأن يكابر، فلن يتعلم حينئذ لأنه يظن نفسه على علم وهو في الحقيقة جاهل.

ولا حجة لأحد اليوم في طلب علوم الآلة أو أي علم من علوم الشريعة عند مبتدع لأن أهل السنة متوافرون والحمد لله ويعلّمون السنة للناس سيّما مع انتشار الإنترنت،

[1] (متفق عليه البخاري 2051 مسلم 1599)

فإنك تستطيع وأنت في أقاصي الأرض أن تطلب العلم عند أهل السنة، وهذا المعهد المبارك - معهد الدين القيم - خير مثال على ذلك، فقد اشترك فيه العدد الكبير من الطلاب والحمد لله اشترك فيه آلاف الطلبة، هذا دليل على أن الكل قادر اليوم على طلب العلم عند أهل السنة الذين زكاهم أهل السنة، فالعلم الذي عند أهل السنة أكثر وأنقى وأسلم لقلبك من العلم الذي عند مبتدع، وها هي الآثار كثيرة جداً عن علماء السلف التي تمنع سماع العلم من مبتدع، علماء السلف كانوا راسخين في العلم كالجبال الرواسي ومع ذلك لم يكونوا يناظرون أهل البدع ولا يجالسونهم ولا يسمعون لهم، لماذا؟ لأنهم علموا - رحمهم الله - أن ذلك خطرٌ على دينهم رغم رسوخهم في العلم، أقول: رغم رسوخهم في العلم، فماذا نقول نحن اليوم؟!

تأمل معي هذه المواقف،

الموقف الأول: " دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ: «لَا». قَالَا: «فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»؟ قَالَ: «لَا». قَالَ: «تَقُومَانِ عَنِّي، وَإِلَّا قُمْتُ». فَقَامَ الرَّجُلَانِ فَخَرَجَا، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: " مَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَأَ آيَةً؟ قَالَ: إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يَقْرَأَا آيَةً فَيُحَرِّفَاهَا فَيَقِرَّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي "[1]

تأمل شدة خوفهم على قلوبهم وعلى سلامتها من الشبهات، ذلك لأنهم يعلمون أن الخصومات مع أهل البدع لا خير فيها بل فيها كل شر لأنها تفضي إلى الشك في الدين، تفضي إلى الشك في السنة، إلى الشك في العقيدة والمنهج، وأي شر بعد هذا؟!، هذه هي المفسدة، هذا هو الكسر الذي لا ينجبر الناتج عن مناظرة ومخاصمة أهل البدع.

الموقف الثاني: أخرج اللالكائي بسنده عن مَعْمَرٌ، قَالَ: " كَانَ ابْنُ طَاوُسٍ جَالِسًا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، قَالَ: «فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ»، قَالَ: فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُسٍ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ. قَالَ: وَقَالَ لِابْنِهِ: أَيْ بُنَيَّ، أَدْخِلْ أُصْبُعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ لَا تَسْمَعْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا ". قَالَ مَعْمَرٌ: «يَعْنِي أَنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ»[2]

الله أكبر ! ما أشد حرصهم على سلامة قلوبهم مع أنهم راسخون في السنة،

---

[1] (انظر السنة لعبد الله بن الإمام أحمد100، واللالكائي في أصول الاعتقاد242، وغيرهم)

[2] (أصول الاعتقاد248)

وأما شباب اليوم ليس عنده شيء في الحقيقة ومع ذلك يذهب إلى مبتدعة بل إلى زنادقة، يدخل على مواقعهم ويختلط معهم فلا يلبث إلا يسيراً حتى يصير مثلهم وقد حصل هذا غيرَ مرة.

الموقف الثالث: وخذ هذه الحكمة من عمر بن عبدالعزيز رحمه الله واحفظها جيداً وافهمها جيداً، عمر بن عبدالعزيز الإمام العادل وهو من أئمة التابعين رحمه الله، قال رحمه الله: [من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل]،

من جعل دينه غرضاً: أي هدفاً،

للخصومات: أي للخصومات في الدين،

أكثر التنقل: سينتقل من دين إلى دين أي سيقع الشك في قلبه،

وقد بيّن معنى هذا الكلام الإمام مالك رحمه الله،

قال معن بن عيسى: [انْصَرَفَ مَالِكُ بن أنس يوماً مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدَيَّ فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالَ لَهُ أَبُو الْجُوَيْرِيَّةِ وكَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ، وَأَحَاجُّكَ وَأُخْبِرُكَ بِرَأْيِي، قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: إن غلبتك اتَّبعْتنِي، قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ فَكَلَّمنَا فَغَلَبَنَا؟ قَالَ: نتّبعه، قَالَ مالك رحمه الله: يَا عَبْدَ اللَّهِ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ وَاحِدٍ وَأَرَاكَ تَتَنَقَّلُ من دين إلى دين قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ][1]

فالمعنى أن من جعل دينه هدفاً للخصومات يخاصم عليه هذا ويخاصم عليه ذاك فإنه سينتقل من دين إلى دين، كلما غلبه أحد انتقل إلى دينه، إذا كان على السنة تركها، فهو اليوم سني وغداً مرجئ وبعد غد معتزلي ثم جهمي وقد يرتد والعياذ بالله، هذا هو التنقل في الدين يؤدي الى الشك في الدين، وكما قال الإمام مالك: بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ وَاحِدٍ، فكيف يتنقل الإنسان في كل يوم إلى دين؟

ذلك ناتج عن مخاصمة أهل البدع ومناظرتهم،

فلا تجوز مخاصمة أهل البدع أبداً ولا تجوز مناظرتهم ولا مجادلتهم ولكن يبيَّن الحق من غير جدال، هذا هو الواجب.

[1] ذكر هذا الأثر الآجري في (الشريعة117) وغيره من رواة الآثار عن السلف

وتبيين الحق لأهل البدع من غير جدال له شرطان:

- الشرط الأول: أن تكون راسخاً في العلم، الجاهل لا يحل له أن يتكلم، إنما الراسخ في العلم هو الذي يبين الحق.
- الشرط الثاني: إن كنت راسخاً في العلم وغلب على ظنك أن هذا المبتدع جاء مسترشداً مستوضحاً طالباً للحق لأنه التبس عليه الأمر ويريد النصيحة- وهذا نادر جداً من أهل البدع- فحينئذ يجوز للعالم أن يبين له الحق، بل يجب أن يبين له الحق، لأن هذا من النصيحة الواجبة وليس من المناظرة والمخاصمة في الدين المحرمة،

فالفرق كبير جداً بين الجدال لبيان الحق وللمناصحة؛ وبين الجدل للمخاصمة والمغالبة، فالجدل للمخاصمة والمغالبة محرّم، والجدال لبيان الحق من النصيحة؛ هذا إذا كان المبتدع حريصا على إظهار الحق وعلى تحصيل الفائدة، وهذا نادر جدا كما قلنا.

والآثار كثيرة عن السلف الصالح في النهي عن الخصومات في الدين وفيما ذكرنا كفاية ومن أراد الاستزادة يجد ذلك في كتب المنهج، يجد ذلك خاصة في كتاب الشريعة للآجري وأصول الاعتقاد للالكائي وكتاب الإبانة لابن بطة.

والآن ننتقل إلى **حكم مجالسة أهل البدع والسماع لهم**:

بعد أن بيّنّا حكم الخصومات والمناظرات معهم فما حكم المجالسة والمؤانسة والمخالطة مع أهل البدع؟

مجرّد المجالسة لا تجوز، فاعلم -رحمك الله -أن في مجالسة المبتدع خطراً عظيماً على دينك، وأن في احترامه وتوقيره خطراً على دينك، بل وعلى دين غيرك أيضاً ممن قد يقلدك، ذلك أن الجلوس مع المبتدع يؤدي إلى مفسدتين كبيرتين:

1- المفسدة الأولى: تعود عليك أنت وهي أنك ستعرض قلبك للشبهات التي عنده مما يؤدي بك إلى الشك في الدين والشك في السنة كما تقدم ذكره آنفاً.
2- المفسدة الثانية: تعود على غيرك من المسلمين لأنك ستغرر بغيرك وذلك أنه عندما يراك الناس تجالس هذا المبتدع أو توقّره فإنهم سوف يحسنون الظن بك،

جلوسك معه وتوقيره هذه تزكية له ولو لم تتكلم، فسيأخذون عنه بعض شبهاته فتكون أنت سبباً في ضلالهم،

وقد حصل مثل هذا مع أبي ذر الهروي،

كان الهروي يسير مع شيخه أبي الحسن الدارقطني فلقيهم الباقِلَّاني، أبو بكر الباقلاني هذا من رؤوس الأشاعرة،

فماذا فعل الدارقطني غفر الله له؟ التزمه الدارقطني - أي عانقه - وقبّل رأسه وعينيه،

فسأله تلميذه الهروي: من هذا؟

فقال: هذا أبو بكر الباقلاني وأثنى عليه لأن للباقلاني مواقف جيدة في الرد على المعتزلة، ولكن لا يجوز توقيره واحترامه ولو كان يجادل بعض فرق أهل البدع ويرد عليهم،

فمنذ ذلك الوقت صار الهروي يتردد على الباقلاني حتى صار أشعرياً مثله بل صار الهروي من رؤوس الأشاعرة ونشر الأشعرية في المشرق والمغرب،

ولذلك فمن كان ممن يُقتدى به وكان متبوعاً فلا يجوز له أن يثني على مبتدع ولا أن يجالسه ولا أن يوقره، الواجب عليه أن يهجر أهل البدع وإلا فإنه سيكون سبباً في إضلال غيره عن السنة.

المثال الآخر في خطورة المجالسة مع المبتدع ما حصل مع عبد الرزاق الصنعاني،

عبد الرزاق الصنعاني حافظ، إمام، محدث، كبير، صاحب المصنف المعروف وهو مصنف عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق المليء بالأحاديث والآثار عن السلف الصالح وعن الصحابة، حدث عنه الإمام أحمد ورحل إليه وسمع منه،

ولكن عبد الرزاق الصنعاني كان يجالس جعفر بن سليمان الضَّبعي،

جعفر بن سليمان الضَّبعي كان حسن السمت وحسن الخُلُق ولكنه كان شيعياً، فجالسه عبدالرزاق فاغتر بسمته وحسن خلقه وأخذ عنه التشيع، وعندما نقول التشيع فالتشيع عندهم كان في تقديم علي على عثمان في الفضل فقط، أو في تقديم علي على أبي بكر وعمر في الفضل فقط وليس في الخلافة، هذا هو التشيع عندهم، لم يكن التشيع كما هو الحال اليوم، لم يكونوا يسبّون الصحابة والعياذ بالله، لم يكونوا يشكّكون في القرآن، بل كانت بدعة التشيع

هي تفضيل علي على عثمان أو أبي بكر وعمر، وهذه بدعة مخالِفة لإجماع أهل السنة والجماعة،

الخلاصة أن عبدالرزاق أخذ بدعة التشيع عن جعفر بن سليمان الضبعي وصار شيعياً، وهذا في الحقيقة شيء طبيعي فإن الإنسان يتأثر بجلسائه ويتأثر بأصدقائه، لذلك قال النبي ﷺ: [الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل] [1]،

وقال ﷺ: [لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي] [2]،

وهكذا فلا يجوز لك أيها السلفي أن تستمع لأهل البدع ولا أن تجالسهم ولا أن تدخل على مواقعهم ولا أن تجادلهم ولا أن تناظرهم ولا أن تثني عليهم ولا أن تذكر حسناتهم ولو وجدت، فإن ذلك كله يفتح عليك أبواب الشبهات وأبواب الشك في السنة، في العقيدة والمنهج،

فإذا كنت ممن يقتدى به فلسوف تضلل غيرك من المسلمين عن السنة فتحمل أوزارهم والعياذ بالله.

والمميعة خالفوا أهل السنة والجماعة في هذا الأصل، المميعة لا مانع عندهم أن يجالسوا أهل البدع، لا مانع عندهم أن يأخذوا العلم عنهم بل يذكرون حسناتهم ويثنون عليهم كلما ذكروهم فوقعوا في موالاة أهل البدع ومعاداة أهل السنة، هذه هي بدعة المميعة، وقعوا في موالاة أهل البدع، وتجدهم في المقابل يعادون أهل السنة ويهاجمون علماء السنة، ويشمئزون من ذكرهم، وهذا الأصل الذي نتحدث عنه وهو تحريم مجالسة أهل البدع والسماع لهم يتفرع عن أصل الولاء والبراء على السنة، الولاء والبراء على السنة هذا هو الأصل العظيم، فكلما عظَّم المسلم السنة فإنه يوالي ويعادي عليها، فيتبرأ من أهل البدع ويهجرهم ولا يجالسهم ولا يسمع لهم ويوالي أهل السنة، والمميعة ضعف عندهم الولاء والبراء على السنة، ضعف عندهم هذا الأصل، فصار ولاؤهم وبراؤهم على حزبهم وعلى شيوخهم المزعومين، فكل من دخل في حزبهم فهو حبيبهم وهو سلفي، فوسّعوا دائرة السلفية وأدخلوا فيها أهل البدع وأدخلوا فيها المجروحين الذين حذّر منهم أهل العلم فانهدم عندهم هذا الأصل وهو وجوب هجر أهل البدع ووجوب ترك مجالستهم والسماع لهم، والله المستعان،

---

[1] أخرجه أحمد 8417 وأبو داود4833 والترمذي2497وصححه الألباني في الصحيحة927

[2] (أخرجه الترمذي 2395وحسنه الشيخ الألباني)

ولعل كثيراً منهم صار يوالي أهل البدع بسبب مجالستهم أصلاً، جاءهم هذا الشر بسبب المجالسة

ثم انتقل الأمر إلى الموالاة لأهل البدع،

ثم انتقل إلى معاداة أهل السنة، نسأل الله العافية،

هكذا هي البدعة تبدأ صغيرة ثم تصير كبيرة، في البداية بدأت بالجلوس معهم وملاطفتهم وموادتهم ومخالطتهم ثم سمعوا شبهاتهم فصاروا يدافعون عنهم ثم صاروا يعادون أهل السنة.

ننتقل الآن إلى **الأدلة على تحريم الخصومات في الدين** مع أهل البدع وتحريم مجالستهم،

والأدلة على تحريم الخصومات في الدين كثيرة جداً في الكتاب والسنة، وأقتصر منها على دليلين:

- الدليل الأول: من حديث الرسول ﷺ وهو الأصل في هذا الباب وهو حديث الدجّال،

حديث الدجال هو الأصل في هذا الأصل، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال ﷺ: [من سَمِعَ بالدَّجَال فلينأ عنهُ، فوالله إن الرَّجُل ليأتيهِ وهو يحسِبُ أنه مؤمنٌ فيتَّبعُهُ مما يُبعثُ به من الشُّبهاتِ] [1]

هذا الحديث هو الأصل في هذا الأصل كما قلنا، فإن الرسول ﷺ أمر بالفرار عن الدجال والبعد عنه لماذا؟ لما معه من الشبهات،

وكذلك أهل البدع عندهم شبهات فيجب معاملتهم كما نعامل الدجال،

فكما أن المؤمن القوي في إيمانه لا يقوى على الصمود أمام شبهات الدجال كما أخبر النبي ﷺ؛ فكذلك لا يقوى على الصمود أمام شبهات أهل الزيغ والضلال، لأن هذا عنده شبهات وهؤلاء عندهم شبهات، لا فرق، لا فرق، ونحن لا نشبه أهل البدع بالدجال، فهناك من أهل البدع من هم في دائرة الإسلام، والدجال كافر، لكن نشبه الشبهات بالشبهات، فكما أن الدجال عنده شبهات لا يقوى المؤمن القوي في إيمانه على ردها فكذلك أهل البدع عندهم شبهات لا يقوى المؤمن القوي في إيمانه على ردّها،

[1] - هذا الحديث أخرجه أحمد 19875وأبو داود 4319.

ولذلك كما سمعتم فإن الراسخين من أهل العلم كانوا يخافون على قلوبهم وكانوا لا يستمعون لأهل البدع ولا يجالسونهم ولا يناظرونهم، فهذا هو منهج السلف الصالح في التعامل مع أهل البدع كما تقدم بيانه.

- الدليل الثاني: هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام 68)

والشاهد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: قال مجاهد رحمه الله في تفسيرها: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرَ الْحَقِّ)، وقوله هذا عام يشمل الكفار وأهل البدع، فإن الكفار الذين نزلت فيهم الآية كانوا يخوضون في القرآن بتكذيبه والاستهزاء به فنهى الله نبيّه أن يقعد معهم وأمره بهجرهم والإعراض عنهم، انظر ! مع أن النبي ﷺ مأمور بتبليغ الشريعة، فهو رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك أمره الله عز وجل أن يعرض عمن يكذب بالقرآن ويستهزئ به ولا يؤمن به، وكذلك تتناول الآية أهل البدع الذين يحرفون القرآن عن مواضعه، قال الطبري في تفسيره: (عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: [لا تجالسوا أهل الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله] انظر، أهل الخصومات هم الذين يخوضون في آيات الله، الخوض الذي ذكره الله عز وجل في آية الأنعام هذه.

فهذه الآية الثامنة والستون من سورة الأنعام وهذا الحديث؛ حديث الدجال دليلان على وجوب هجر أهل البدع والبعد عنهم والإعراض عنهم وترك مناظرتهم ومجالستهم بل وتحريم السماع لهم، وكما قلنا فقد أجمع أهل السنة والجماعة على هذا الأصل وقد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم، انتهى بحمد الله الحديث عن الشق الأول من هذا الأصل.

أما الشق الثاني: وهو تحريم الخصومات مطلقاً حتى مع السني، وهو قول المؤلف:

(وتركُ المراءِ والجدلِ والخصوماتِ في الدين): هذا كلام مطلق يعني سواء كان المراء والجدل

والخصومات في الدين مع المبتدع أو مع السني.

ما هو المراء؟ ***المراء: هو الجدل للتشكيك***، هذا هو المراء، لأن المراء مأخوذ من "المِرْيَة"، والمرية: هي الشك، فالمراء والمماراة: هي الجدل على وجه التشكيك،

يعني أن يجادل الرجل أخاه ليشكك في قوله، وهو نوع من الخصومة لكنه يتميز بالتشكيك في قول الآخر، فإذا تمارى رجلان في القرآن - وهذا أخطر أنواع المراء - فإنّ كل واحد منهما يشكك في القرآن الذي مع الآخر وهذا كفر، وهذه طريقة باطلة في فهم القرآن، فمن جهل من القرآن شيئاً أو حصل عنده شك في شيء،

الواجب أن يرد الأمر إلى أهل العلم امتثالاً لأمر الله عز وجل بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، وامتثالاً لأمر النبي ﷺ: [أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ][1] ، أي شفاء الجهل السؤال، العلماء يزيلون الشك ويوضحون الحق، وقد قال ﷺ:[المراء في القرآن كفر][2]

في كثير من الأحيان هذا جاهل وهذا جاهل يجلسان، هذا يأتي بآية وهذا يرد عليه بآية،

كيف تضرب القرآن بعضه ببعض؟

لذلك قال ﷺ:[المراء في القرآن كفر] والمعنى؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: [المراء في القرآن كفر]أن المراء في القرآن يؤدي إلى الشك في القرآن وهذا كفر،

وأيضاً المراء في القرآن يؤدي إلى رد القرآن وهذا كفر، ولو لم يؤدي إلى الكفر الأكبر فهو كفر أصغر على كل الأحوال، لأن حقيقة المراء أن كل واحد يبطل قول صاحبه ويشكك فيه بشبهات يلقيها، هذه هي حقيقة المراء، كل واحد يشكك في قول الآخر فلا يجوز أن تضرب القرآن بعضه ببعض، وهذا يبيّن لك حكم المخاصمة في الدين أي مع أخيك السني،

فالمخاصمة في الدين حتى مع أخيك السني محرّمة،

المناظرة في الدين والمغالبة والمراء والخصومة كلها لها حكم واحد وهو التحريم،

---

[1] (سنن أبي داود336)

[2] (أخرجه الإمام أحمد7499وقال الشيخ أحمد شاكر:إسناده صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه 4603 وقال الشيخ الألباني:حسن صحيح)

فيجب عليك إذا سئلت عن مسألة أن تذكر حكمها وأن تذكر دليلها إن كنت تعلم ذلك ثم تسكت، لا تزد على ذلك إلا بتوضيح شيء غامض، لأن الجدال بعد ذلك يصبح انتصاراً للنفس لا للحق، فلا يجوز أن تسترسل في الجدل بل (ألق كلمتك وامض) كما قال الشيخ الألباني رحمه الله، والمخاصمة اليوم كثيرة جداً سيّما على مواقع الإنترنت، وفي مجالس الناس، وهذه آفة عظيمة.

ودليل تحريم المراء في الدين أن رسول الله ﷺ: خرج يوماً على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان من الغضب وقال: [بهذا أُمِرتم ! أو لهذا خُلِقتم ! تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم][1] ،

ما هو سبب هلاكهم؟ أن هذا الأسلوب في الجدال يؤدي إلى الشك في الدين، وإلى التفرق في الدين، وفعلاً افترقت أمة محمد عليه الصلاة والسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة بسبب هذا النوع من الجدال، وزاد ابن أبي عاصم في كتاب السنة وحسنها الشيخ الألباني في ظلال الجنة(405)، قال ﷺ: [ألهذا خلقتم أم بهذا أمرتم، لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، انظروا ما أمركم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه] هذا هو الواجب على المسلم مع القرآن أن يأتمر بأوامره وأن ينتهي عن نواهيه.

فالخلاصة أن الجدل للمراء والمغالبة حرام، لكن يجوز الجدال مع السني على وجه المناصحة وذلك بالشروط الآتية، يجوز لك أن تجادل أخاك السني بالشروط الآتية:

- الشرط الأول: **إخلاص النية لله**: أي أن تنوي أن تنصح أخاك وأن تظهر الحق وأن تنصر الحق فإن تبين لك أن الحق معه يجب عليك أن تتبعه لأن الحق ضالة المؤمن.
- الشرط الثاني: **العلم**، فلا يحل للجاهل أن يجادل، إنما يجادل صاحب العلم، صاحب الدليل، يجادل للمناصحة لا للمغالبة.
- الشرط الثالث: **الحِلم**، لا تغضب ولا تحتدّ ولا ترفع صوتك عندما تناقش في مسألة شرعية، فذلك يحملك على رد الحق، الغضب يحملك على أن ترد الحق وعلى أن تنتصر

[1] (أخرجه الترمذي2133 وحسنه الألباني

لنفسك ولو كنت على باطل وإن كان الحق معك يحملك الغضب أن تدافع عن قولك لأنه قولك لا لأنه حق.

- الشرط الرابع: **التواضع**، يجب أن يكون المسلم خلال مناصحته لإخوانه متواضعاً لهم، فهذا أدعى لقبول الحق منك، وهذا يحملك على التراجع عن قولك إن علمت أنه خطأ، أما الكبر فإنه يحملك على رد الحق وازدراء الخلق،

والواجب على المسلم أن يتواضع للحق لأن الحق أكبر منك مهما كنت كبيراً في العلم ومهما كنت كبيراً في السن أو في المكانة أو في السُّلطة، الحق أكبر من ذلك كله لأن الحق هو حكم الله جل وعز.

فمن قامت في قلبه هذه الخصال أثناء الجدال فإن الله يؤيده ويوفقه ويسدده لأنه اتخذ أسباب السلامة، وهذا النوع من الجدال جائز بل مطلوب وقد يكون واجباً عينياً في بعض الأحيان لقول الله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل125) هذه الآية دلت على أن مِنَ الجدال ما هو حسن، ومنه ما هو قبيح،

- والجدال الحسن أن تجادل للمناصحة ولبيان الحق وإظهاره،
- والجدل القبيح هو المخاصمة والمغالبة والمراء كما تقدم تفصيله،

وأهل البدع لا يجادلون إلى للمخاصمة والمغالبة والمراء والتشكيك في السنة لذلك يحرم السماع لهم وتحرم مناظرتهم ومخاصمتهم، والله تعالى أعلم،

والحمد لله رب العالمين.

أسئلة الدرس الرابع وإجاباتها:

السؤال 1: ما هي الخصومات في الدين؟

ج1: هي (الجدل على وجه المغالبة).

السؤال2: ما هي المفسدة المترتبة على الخصومات في الدين مع أهل البدع؟

ج2: المفسدة هي الشك في الدين.

أي الشك في السنة، أي في العقيدة والمنهج.

السؤال3: اذكر دليلا من السنة على تحريم الخصومات في الدين مع أهل البدع.

ج3: هو حديث الدجال، قال الرسول ﷺ: "من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات "[1]

السؤال4: اذكر أثرا أو أكثر عن السلف الصالح في النهي عن الخصومات في الدين.

ج4: 1 - قال أبو قلابة الجرمي رحمه الله: (لا تُجَالِسُوا أصحاب الخصومات ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ بَعْضَ ما تعرفون).

2-قال عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله: (مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ).

3 - أن محمد بن سيرين رحمه الله أبى أن يسمع آية من مبتدع ثم قال (إني خشيت إن قرأ علي آية أن يغير فيها شيئا فيقع ذلك في قلبي).

السؤال 5: مجالسة أهل البدع خطيرة على الدين، أذكر أثرا يبين ذلك.

ج5: 1 - أبو ذر الهروي أخذ الأشعرية عن الباقلاني لما رأى الدارقطني يعظمه، فصار الهروي يجالسه وأخذ الأشعرية عنه.

[1] رواه أحمد، وأبو داود 4319.

2- عبد الرزاق الصنعاني جالس جعفر بن سليمان الضبعي فأخذ عنه التشيع.

السؤال6: ما هو المراء؟

ج6: هو الجدل للتشكيك.

السؤال7: ما هو الأصل الذي خالف فيه المميعة أهل السنة والجماعة؟

ج7: خالفونا في هذا الأصل وهو (موالاة أهل البدع).

فوضع المميعة القَواعِدَ الَّتِي تَحمِي أهلَ البدَعِ مِثل"مَنهجِ المُوازَنات"، و"المَنهَجِ الأفْيح"، و"نصحِّحُ ولَا نجرِّح"

فلا يحذرون من أهل البدع، بل يحذرون من أهل السنة، لأنهم ليس عندهم "ولاء وبراء على السنة "،

إنما ولاؤهم لحزبهم وشيوخهم.

السؤال 8: هل تجوز مجادلة السني حتى تبين له مسألة شرعية؟ وما ضوابط ذلك؟

ج8: يجوز بالضوابط الآتية:

1 -إخلاص النية لله: بأن ينوي إظهار الحق، سواء ظهر على لسانه أو لسان أخيه.

2 -العلم: أي بالأدلة التي سيجادل عنها.

3 –الحلم: لأن الغضب يصد عن قبول الحق.

4 - التواضع: لأن الكبر يصد عن قبول الحق أيضا.

هذا الجدال يكون على سبيل المناصحة، لا على سبيل المغالبة.

فإن شعرت أن الجدال تحول للمغالبة، فتوقف عنه على الفور.